شادي حميد | نشر في ١٤ مايو ٢٠٢٤,

كيف تقوم "إسرائيل" وأمريكا بقمع الديمقراطية في الشرق الأوسط؟

ترجمة وتحرير: نون بوست

لدى الشرق الأوسط وسيلة لإرباك القادة الأمريكيين وتقويض التراث. قبل ثمانية أيام فقط من هجوم حماس على إسرائيل في 7 تشرين الأول/ أكتوبر، أشار مستشار الأمن القومي جيك سوليفان بارتياح إلى أن "منطقة الشرق الأوسط أصبحت أكثر هدوءًا اليوم مما كانت عليه خلال عقدين من الزمن". فقبل أسبوعين من سقوط الرجل القوي المصري حسني مبارك في الأيام الأولى للربيع العربي، أعلنت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون: "تقييمنا هو أن الحكومة المصرية مستقرة".

ولعل الأمر الأكثر شهرة هو أن الرئيس جيمي كارتر، عشية رأس السنة الجديدة في سنة 1977، وصف ديكتاتورية الشاه محمد رضا بهلوي في إيران بأنها "جزيرة الاستقرار". وبعد تسعة أيام، حدث أول تجمع صغير في الثورة الإيرانية، ولم تبق المسيرات صغيرة لفترة طويلة.

ومن الواضح أنه يجب إعادة تعلم الدرس على فترات منتظمة. إن الشرق الأوسط لا يبقى هادئًا أبدًا. ومع ذلك؛ فإن الوهم بأنه يمكن أن يقود الرؤساء الأمريكيين إلى مسارات مضللة، بل وحتى خطيرة. في بداية ولاية الرئيس بايدن، كانت غزة هادئة. وكان الشرق الأوسط ككل هادئًا (نسبيًا)، لكن مشاكلها كانت تتفاقم.

لقد اشتاقت الإدارات الأمريكية المتعاقبة إلى التركيز على آسيا، ولقد نظروا إلى الشرق الأوسط باعتباره مصدر إلهاء، وفوضى يجب احتواؤها حتى يتمكن الكبار في الغرفة من التركيز على الأشياء الأكثر أهمية. وكان من المعروف أن الرئيس باراك أوباما كان يمزح سرًا قائلًا: "كل ما أحتاجه في الشرق الأوسط هو عدد قليل من المستبدين الأذكياء". كما تساءل بصوت عالٍ لماذا لا يستطيع الجميع "أن يكونوا مثل

الدول الاسكندنافية".

وبطبيعة الحال، لا يعيش الإسكندنافيون في ظل أنظمة قمعية، مدعومة ومسلحة بمليارات الدولارات من المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية. إن السؤال عن السبب وراء هذا الخلل الوظيفي في الشرق الأوسط، على الرغم من الاهتمام والاستثمارات الأمريكية الكبيرة، هو سؤال معقد، وقد تم تخليده في عنوان كتاب برنارد لويس "ما الخطأ الذي حدث؟"

في الأيام الأولى للربيع العربي، بدا أن الأمور تسير أخيرًا على ما يرام. لعقود من الزمن، هيمن ما يعرف باسم "نظرية الارتباط" ـ والتي تؤكد على ضرورة حل الصراع العربي الإسرائيلي حتى تتمكن المنطقة من التقدم على جبهات أخرى ـ على المناقشات المتعلقة بالشرق الأوسط. ويبدو أن وعد الانتفاضات العربية يؤكد سخافة التركيز على الدور الإسرائيلي. ربما كان المتظاهرون يهتمون بإسرائيل، لكنهم كانوا يهتمون أكثر بحكوماتهم، ومن الواضح أن بإمكانهم الإطاحة بها، مع أو بدون السلام الإقليمي.

في ذلك الوقت، كنت أعتقد أيضًا أن إسرائيل لا تهم كثيرًا، ولكنني كنت مخطئًا.

واليوم، تقف إسرائيل في قلب منطقة ساعدت الولايات المتحدة في تشكيلها. إن القرار بإعلاء المصالح الأمنية الإسرائيلية فوق كل شيء آخر تقريبًا، مهما كان حسن النية، قد شوه السياسة الأمريكية. وعلى الرغم من أنها الديمقراطية الوحيدة الراسخة في المنطقة، إلا أن إسرائيل معارضة قوية للديمقراطية في بقية الشرق الأوسط.

والسبب في ذلك بسيط بما فيه الكفاية: فالسكان العرب يميلون إلى أن يكونوا مناهضين لإسرائيل بإصرار. وإذا قاموا بالتصويت، فسوف ينتخبون قادة يعكسون مشاعرهم. وسيكون على الحكومات المنتخبة المستقلة والقوية والأبية – وليس الدول العميلة لأمريكا، بعبارة أخرى – أن تتخذ موقفًا أقوى لدعم الحقوق الفلسطينية وإقامة الدولة الفلسطينية. قارن ذلك بالوضع الحالي في الشرق الأوسط؛ فعلى الرغم من عدد القتلى والدمار الهائل في غزة، قامت الأنظمة العربية بتقييد المعارضة العامة. لقد بذلوا قصارى جهدهم لإبقاء الأمور هادئة – هذا هو الوعد مرة أخرى. وبالنسبة لإسرائيل، هذه فضيلة.

وكان تفضيل إسرائيل للحكام المستبدين على الديمقراطيين مصدرًا للتوتر مع الولايات المتحدة. وروى أغلب المسؤولين الكبار في إدارة جورج دبليو بوش وأوباما، الذين أجريت معهم مقابلات، والذين يزيد عددهم عن العشرين، في كتابي "مشكلة الديمقراطية"، انزعاج المسؤولين الإسرائيليين كلما حاولت الولايات المتحدة اتخاذ موقف أكثر صراحة مؤيدًا للديمقراطية في المنطقة. ووصف إليوت أبرامز، نائب مستشار الأمن القومي في عهد بوش، طبيعة الخلاف خلال فترة ما يسمى بأجندة الحرية التي تبناها بوش، من سنة 2003 إلى سنة 2005: "لقد كانوا يسخرون من وراء ظهورنا. فيقولون: أنت لا تفهم على الإطلاق. أنت لا تعرف شيئًا عن العرب... لأن حجتهم كانت: "سوف ترى من سينتصر". الأشرار سوف يفوزون. وسيحقق الإسلاميون نصرًا تلو الآخر إذا فتحت هذه الأنظمة".

وقال أحد كبار أعضاء البيت الأبيض في عهد أوباما، في إشارة إلى انقلاب الجنرال المصري عبد الفتاح السيسي ضد حكومة إسلامية منتخبة ديمقراطيًا في سنة 2013، إن "أقوى ضغط حصلت عليه للتساهل مع السيسي كان من إسرائيل".

إذا كنت تفضل هيمنة إسرائيل على المنطقة فوق أي اعتبارات أخرى؛ فإن الثمن ـ القهر غير المحدود لمئات الملايين من العرب ـ قد يكون يستحق العناء. إذا كنت إسرائيليًا، بعد أهوال 7 تشرين الأول/أكتوبر، فقد يكون هذا اعتبارًا تافهًا، ولكن بالنسبة لأغلبنا؛ فإن الحساب الأخلاقي والاستراتيجي قد تأخر.

إن الوعد بالاستقرار الاستبدادي زائف. وتبدو الأنظمة الاستبدادية مستقرة، إلى أن لا تكون كذلك. إنها شرسة ولكنها هشة، ولا تصبح هذه الهشاشة واضحة إلا بعد وقوعها. ويجسد مايكل ماكفول، سفير

الولايات المتحدة السابق لدى روسيا، هذه الديناميكية بشكل جيد عندما يقول: "كلما طال أمد بقاء النظام الديمقراطي، كلما قلت احتمالات انهياره. كلما طال أمد بقاء النظام الاستبدادي، زاد احتمال انهياره".

وكما هو الحال مع الإدارات التي سبقتها، يخلط بايدن بين الهدوء والاستقرار. في حين يشير الاستقرار إلى الاتساق والقدرة على التنبؤ، فإن الهدوء هو ما يبدو عليه الحال قبل العاصفة. وبعد مرور العاصفة، سيكون على كل من يهتم بالشرق الأوسط ـ وكثيرون ممن لا يهتمون ـ أن يقاوم إغراء تكرار الأخطاء القديمة. إذا كان الوضع الراهن يبدو غير قابل للاستمرار، فربما يكون ذلك لأنه كذلك.

المصدر: واشنطن بوست

رابط المقال: https://www.noonpost.com/213888/